

The Feminist Experience in Algerian Novels Written in French: The Dialectic of Naturalization and Identity - Assia Djébar as a Model

Sedira Sihem¹

¹Professor Lecturer A, Higher School of Professors Assia Jabbar Constantine (Algeria).

The E-mail Author: sedira.sihem@ensc.dz

Received: 06/2024

Published: 12/2024

Abstract:

The Algerian novel written in French represents a significant part of Algerian literature, despite the ongoing debate about its affiliation and identity. These novels address various issues related to the suffering and struggles of Algerians, transcending local boundaries to become a voice directed towards France and the world. In her novels, Algerian writer Assia Djébar has focused on the issues of Algerian women's freedom, striving through her writings to confront death and oblivion while asserting her existence in Algeria. She explored new forms of marginalization of women, whether educated or illiterate. Writing, for her, was an indispensable act through which she was able to construct a solid and cohesive world based on the interconnection of text and discourse. In this context, this study examines Assia Djébar's literary experience and the impact of the Algerian novel written in French, which, despite difficulties and skepticism regarding its identity, has established itself in the literary scene. The topic is titled: The Feminist Voice in Algerian Literature Written in French: Between Genre Issues and Identity Concerns – Assia Djébar as a Model.

Keywords: Feminist representation; Algerian literature in French; Algerian novel in French; cultural classification; cultural identity.

التجربة النسوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية "جدلية التجنيس والهوية - آسيا جبار
أنموذجاً"

د. سديرة سهام¹

¹أستاذ محاضر أ، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة (الجزائر).

الملخص:

تمثل الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية جزءاً هاماً من الأدب الجزائري، على الرغم من الجدل القائم حول

انتمائها وهويتها. وقد عالجت هذه الروايات قضايا متعددة تتعلق بمعاناة الجزائريين والامهم، متجاوزة الحدود المحلية لتصبح صوتًا موجهاً إلى فرنسا والعالم؛ اختارت الكاتبة الجزائرية آسيا جبار في أعمالها الروائية تناول قضايا حرية المرأة الجزائرية، وسعت من خلال كتاباتها إلى مواجهة الموت والنسيان وتأكيد وجودها في أرض الجزائر. كما كشفت عن أشكال جديدة لتهميش النساء، سواء المتعلمات أو الأميات. وكانت الكتابة بالنسبة لها فعلاً لا بديل عنه، حيث استطاعت عبره بناء عالم متين و متماسك قائم على ترابط النص والخطاب.

في هذا السياق، تناولت الدراسة تجربة آسيا جبار الروائية وأثر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، التي رغم الصعوبات والتشكيك في هويتها، فرضت نفسها في الساحة الأدبية. وجاء الموضوع تحت عنوان: التجربة النسوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية "جدلية التجنيس والهوية - آسيا جبار أنموذجاً".

الكلمات المفتاحية: التمثيل النسوي؛ الأدب الجزائري باللغة الفرنسية؛ الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية؛ التصنيف الثقافي؛ الهوية الثقافية.

تمهيد:

لقد أصبح الصوت النسوي موضوعاً محورياً في الأدب الجزائري، باعتباره أحد القضايا البارزة التي ساهمت في صعود الأدب النسائي، حيث يمثل هذا الصوت منافساً حقيقياً لصوت الرجل الكاتب. عندما رفعت المرأة قلمها، مُعلنة عن وجودها، بدأت في خوض حرب شرسة تهدف إلى التمرد والتغيير، لإثبات ذاتها وكسر القيود المفروضة على أنوثتها. إذا لم نقل إن صوت المرأة يعكس رغبتها في العيش في حالة انتقالية بين واقعها الحالي وآمالها في واقع آخر تسعى للوصول إليه، فكانت تكافح من أجل تحويل شخصيتها من مهمشة إلى فاعلة، لتثبت وجودها وتحظى بمكانة معتبرة في مختلف المجالات. وقد أتاح لها هذا السياق فرصة لإبراز قدراتها الفكرية، حيث تبنت مقولة: "أنا موجودة لأنني قادرة على الكتابة"، وهي مقولة تعكس وعي المرأة العربية، والجزائرية بشكل خاص.

إن حضور المرأة في الأدب الجزائري، سواء المكتوب بالعربية أو الفرنسية، يشكل حضوراً فريداً يعكس خصوصية الجنس اللطيف، حيث كشف عن أدب جماعي يمتزج بين الرقة والعمق الشعوري والخصوصية، بالإضافة إلى الجرأة الأنثوية. لقد استطاعت المرأة من خلال هذا الأدب أن تفرض نفسها وتكسر الحواجز التي وضعها المجتمع الذكوري، مما خلق لها فضاءً خاصاً منحها مكانة اجتماعية وبعدها جديداً.

نظراً لأهمية هذا الموضوع، قررت تقديم ورقة بحثية بعنوان: التجربة النسوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية "جدلية التجنيس والهوية - آسيا جبار أنموذجاً"، وذلك للوقوف على مجموعة من القضايا الرئيسية، من أبرزها:

- المفهوم النسوي/الأنثوي
- إشكالية التصنيف الأدبي ومفهوم الهوية
- الأدب النسوي باللغة الفرنسية: الخصائص والتوجهات
- آسيا جبار وتجربة الكتابة الأدبية

1- تحليل المصطلحات: نسوي/أنثوي/نسائي:

انتشرت مصطلحات "أنثوية"، "نسوية"، و"نسائية" بين العديد من الدارسين في مجال النقد النسوي، خاصة لتحديد ماهية الصوت النسوي الذي يقع ضمن هذه الدائرة المفاهيمية. ومن المحتمل أن هذه المصطلحات الثلاثة قادرة على احتواء جميع القضايا التي قد يتضمنها مصطلح "الصوت النسوي"، فلا يمكن مثلاً الفصل بين المؤنث والنساء. لذلك، سنعمل على تحديد هذه المصطلحات وفقاً لتعدد المفاهيم المرتبطة بها.

يبدو أن مصطلح "المؤنث" مصطلح واسع لا يرتبط بالضرورة بمحمولات إيديولوجية تعمل على آليات النوع (مؤنث/مذكر، امرأة/رجل)، فالنص المؤنث يرتبط بالإبداع الذي لا يمكن أن يخضع لشرط مسبق مثل الهوية الجنسية.

أما في مجال الترجمة، فإن مصطلح feminism يُترجم إلى "نسوية" أو "نسائية"، بينما يُترجم مصطلح feminine إلى "أنثوي"، "أنثوي"، أو "نسوي" حسب السياق.

إن الترجمة من اللغات الأجنبية (كالإنجليزية، الفرنسية، أو اليونانية) إلى اللغة العربية تثير الكثير من الإشكاليات، حيث تتمتع اللغة العربية بتنوع واسع في مفرداتها، مما يُغري كل مترجم بابتكار مصطلح خاص به، فبمّ تعميمه حتى وإن كان غير دقيق. ويواجه الباحث العديد من المصطلحات التي تتطلب منه إما البحث في اللغة الأصلية للمصطلح أو رفض بعض المصطلحات والاكتفاء بمصطلح معين. على سبيل المثال، ترفض الناقدة العراقية نازك الأعرجي استخدام مصطلح "الكتابة الأنثوية"، إذ ترى أن "الأنوثة" تشير إلى ما تقوم به الأنثى من أفعال وصفات معينة، كما يرتبط المصطلح بوظيفتها الجنسية¹، ما يُصوّرُها على أنها ضعيفة ورقيفة وعاطفية، تحتاج إلى حماية الرجل. لذلك، تفضل استخدام مصطلح "النسوي" بدلاً من "الأنثوي"، لأن الأخير يقتصر فقط على الجنس البيولوجي.

ويستمر الاختلاف والتباين، وهذه المرة بين مصطلحي "النسوي" و"النسائي" (feministe) "في هذا السياق، تطرح الكاتبة شيرين أبو النجا في كتابها الموسوم بـ "نسوي أو نسائي" إشكالية التفريق والتمييز بين المفهومين، مؤكدة على ضرورة التمييز بين "نسوي" و"نسائي" عندما نتحدث عن الأدب الذي تكتبه المرأة، وذلك لتجنب تصنيفه بناءً على هوية المنتج الجنسية. وتؤكد أبو النجا على أهمية التفريق بين "نسوي"² (أي الوعي الفكري والمعرفي) و"نسائي" (أي الجنس البيولوجي). فاللفظ "نساء" يشير إلى الجنس البيولوجي، الذي لا علاقة له بالتوجه الفكري، إذ إن هذا الأخير يتأثر ويتغير نتيجة المقترضات الاجتماعية والثقافية. أما "النسوية"، فهي تشير إلى مفهوم مختلف، حيث نقول "إبداع نسوي" للدلالة على إبداع يعبر عن دعوة لثورة حقوق المرأة العالمية، ويواكب تيار تحرير المرأة ومساواتها مع الرجل في الحقوق والواجبات ككائن اجتماعي كامل. يُعد هذا الإبداع نضالاً لمكافحة التمييز ضد المرأة، وهو "منظومة فكرية أو مسلكية تدافع عن مصالح النساء وتدعو إلى

¹ - مفيد نجم، الكتابة النسوية، إشكالية المصطلح التأسيسي المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى، العدد 42، 2009، ص 41.

² - مفيد نجم، المرجع نفسه، ص 57.

توسيع حقوقهن"¹، ويعتمد شعار هذه المنظومة على الحفاظ على مبادئ الحرية، التي هي جزء أساسي من حقوق المرأة.

أما الكاتبة "سارة جاميل" المتخصصة في الأدب المعاصر للمرأة ونظرية التجنيس، فقد أكدت في كتابها المعنون بـ "النسوية وما بعد النسوية" أن مصطلح "النسوية" يشير إلى "كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة أو استجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنى الاجتماعية التي تجعل الرجل هو المركز وتعتبره الكائن الإنساني الوحيد، بينما تُصنف المرأة كجنس ثانٍ أو كآخر في مفهوم الأنوثة"².

من خلال هذه الرؤية، تسعى جاميل إلى إعادة الاعتبار للمرأة في عالم الثقافة الذي كان هيمن عليه الرجل لعقود طويلة، مؤكدة أن المرأة تستحق مكانة متميزة، لا تقتصر على الدور التقليدي الذي تم فرضه عليها. ومن هنا، فإن مصطلح "النسوي" يصبح أكثر دقة وشمولاً في التعبير عن هذا التحول الاجتماعي والفكري، الذي يسعى إلى استعادة مكانة المرأة ككائن إنساني كامل، يمتلك القدرة على الوجود الثقافي والفكري جنباً إلى جنب مع الرجل.

2- إشكالية التجنيس وسؤال الهوية:

تمكنت المرأة الجزائرية من خلال قلمها أن تُحيي وجودها وتخرق عالم الكتابة، مُعززة هويتها وإبداعها وخصوصيتها. هذه الكتابة، التي يُطلق عليها "كتابة المرأة" أو "الكتابة النسائية المؤنثة (l'écriture féminine)"، تبرز في تأكيد أن الكتابة ليست محصورة بالجنس الذكوري فقط، بل تمتد إلى النساء أيضاً. يقول عبد الله الغدامي في هذا السياق: "إن طريق المرأة إلى موقع لغوي لن يكون إلا عبر محاولة واعية نحو تأسيس قيمة إبداعية للأنوثة تضارع الفحولة وتنافسها، وتكون عبر كتابة تحمل سمات الأنوثة وتُقدمها في النص اللغوي، لا على استرجال، وإنما بوصفها قيمة إبداعية تجعل الأنوثة مصطلحاً إبداعياً مثلما هو مصطلح الفحولة"³.

من هذا المنطلق، يمكننا أن نرى أن نتاج المرأة الأدبي يختلف عن نتاج الرجل. فإبداعها يحمل تميزاً خاصاً، حيث تطلق الأنثى العنان لقدراتها الإبداعية ومشاعرها المتدفقة، وتعيّر عن شفافية وصدق، مما يتيح لها أن تكشف عن أدب خاص يعبر بصدق عن التجربة الأنثوية وخصوصيتها، التي تختلف بشكل أساسي عن تلك الخاصة بالرجل. فالاختلاف البيولوجي للمرأة ينعكس في تفكيرها واستخدامها للغة، ما يجعل نصها الإبداعي يحمل لمسات مميزة تنبع من الأنوثة، فتتسلل هذه الأنوثة إلى النص، مما يخلق جمالية نظرية تلبي احتياجات الواقع الشعوري الذي تعيشه.

مع دخول المرأة عالم الكتابة، يبرز الصوت النسوي، بل يصبح هذا الصوت مؤثراً وأساسياً، يتحدى الصوت الذكوري ويسجل حضوره، مؤكداً مشروع عيته وهويته الخاصة. في هذا السياق، تُظهر المرأة قدرتها على

¹ - مجموعة من الأكاديميين العرب، الفلسفة النسوية، إشراف و تحرير علي عبودي المحمدوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013 ص 204.

² - حفناوي بعل، مدخل في نظرية النقد النسوي و ما بعد النسوية، منشورات دار الاختلاف الجزائر، ط1، 2009، ص 45.

³ - عبد الله الغدامي، المرأة و اللغة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 55.

انتزاع شروط الكتابة التي كانت محجوزة للرجل، معبرة عن اختلافها دون الحاجة إلى وصاية أو سيطرة¹، في صراع مستمر مع المنظومات التقليدية التي فرضت هيمنة الذكور على مجال الإبداع.

في مجتمع ذكوري لا يعترف بالجنس الأنثوي في مجال الكتابة والإبداع، وجدت المرأة في الكتابة متنفساً حقيقياً لها، وأداة فعّالة لإثبات وجودها والانفلات من القيود التي وضعها الرجل أمامها. وقد سعت جاهدة لإظهار هويتها في عالم يهيمن عليه الذكور²، لتمهّد بذلك الطريق لفنّها وإبداعها. استخدمت اللغة كأداة للكشف عن خصوصيتها، مُسجلة الحقيقة بعيداً عن الزيف والتجميل، ساعية لفرض وجودها في هذا المجال الذي كان يُعتقد أنه لا يتسع سوى للذكور.

لكن الإشكال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يُعتبر القول بوجود "أدب نسوي" وآخر "ذكوري" دليلاً على وجود هوية جنسية للنص؟

إنّ القول بوجود كتابة ذكورية وأخرى نسوية قد يثير إشكالية التجنيس، ويقودنا إلى تساؤلات حول الأنا (الرجل) والآخر (المرأة). ففي السياق التقليدي، يُنظر إلى الإنسانية باعتبارها شيئاً مذكراً، حيث يرى الرجل نفسه ممثلاً للجنس البشري الحقيقي، بينما تُعتبر المرأة الجنس الآخر³. فالذكر، في هذا السياق، يُمثّل الذات الإنسانية، بينما تُعتبر المرأة موضوعاً. الذكر هو العقل، بينما تُعتبر الأنثى هي الجسد.

من هنا، دعا العديد من النقاد إلى إلغاء التمييز الجنسي بين الذكر والأنثى في الأدب، ورفض استخدام هذا التمييز كمعيار لخصوصية الكتابة الأنثوية. وبالتالي، يشير هذا إلى الحاجة لاسترجاع الذات المفقودة والانطلاق بهوية جديدة تحمل معاني الاستقلال والتحرر. في هذا الإطار، تقول الناقدة خالدة سعيد: "فعل الكتابة لدى النساء بشكل خاص هو عملية تحرر، لأنها تعكس موضوعة وتجسيد تجارب ومعانيات وحاجات وأحلام طالما كانت في الظلام والصمت. الكتابة تبلور هذه التجارب وتخرج بها إلى النور، مما يسمح بتشكيل خصوصيات جديدة داخل إطار قوانين العام. كما تساهم الكتابة النسائية في تشكيل مفاهيم المتخيل، والتأثير في منظومة القيم والمصطلحات. فالخصوصية هي منطلق الكتابة، ومن خلالها يتوهج العام"⁴.

في نظر خالدة سعيد، فإن خصوصية الكتابة النسائية تأتي من التجربة الحياتية الفريدة للمرأة، التي تختلف عن تجربة الرجل من حيث تركيبها النفسية والبيولوجية. وبالتالي، فإن مسألة الخصوصية في الكتابة النسائية لا تُعتبر مجرد افتراض، بل تُثبتها النصوص ذاتها، التي تستمد مقوماتها من خصوصية التركيبة النفسية للمرأة، ووضعها الاجتماعي، وأفقها الوجودي.

لقد حاولت العديد من الكتابات النقدية إبعاد المرأة الكاتبة عن ميدان الكتابة، محاولين استلاب حقها في استخدام اللغة وطمس وجودها في عالم الأدب. إلا أن المرأة تمكّنت من إثبات خصوصية أدبها، وبذلك تمكّنت من تثبيت هوية الأنثى المستقلة. فمسألة الخصوصية تُعتبر جزءاً من "هوية الكتابة النسائية"، التي ارتبطت في الوعي

¹ - سليمة خليل، و هنية مشقوق، الأدب النسوي بين المركزية و التهميش، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي مارس 2011، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص 262.

² - سيمون ديوفوار، الجنس الآخر، تر مجموعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتبة الأهلية، القاهرة، ط4، 1966، ص 321.

³ - سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ص 6.

⁴ - بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية التونسية، المغاربية للطباعة و النشر، تونس، ط 1 ص 123.

النقدي بمحاولة إقصاء النساء من المجالات الاجتماعية، السياسية، والثقافية، باعتبارها حقيقة مضمرة ينتجها المنطق الذكوري غير الواعي¹.

لكن هذا الاستلاب وهذا القمع لم يدم طويلاً، حيث تصدت له المرأة بشكل فعال، واستعادت مكانتها في الساحة الأدبية، متمثلة في سؤال الهوية الذي يركز حول الذات.

"أن أعرف من أكون يعني أن أعرف الموقع الذي أحتله"²، هذه المقولة تجسد جوهر سعي المرأة نحو تجديد هويتها، وهويتها النابعة من ذاتها، وهي هويتها المستقلة التي تتغلب على العجز التقليدي الذي حاول المجتمع فرضه عليها. كما تقول الناقدة لويس إيرلغاري: "إنّ المرأة ينقصها شيء ما (سواء في المعنى الاجتماعي أو الجنسي)، وهو شيء يمتلكه الرجال. لكن النساء، وبكل إنصاف، يستحقون أن يحصلوا عليه، مثل المكانة الاجتماعية، والحياة العامة، والحكم الذاتي، والاستقلال، والهوية المنفصلة"³.

تطرح المنظرة الفرنسية "هيلين سيكسو (Hélène Cixous) رؤيتها بشأن الهوية المحددة للجنس، حيث ترى أن الأنوثة تمثل بنية إبديولوجية مقيدة، في حين لا تخضع الذكورة لنفس القيود⁴. وتركز سيكسو على مفهوم الذات الكاتبة، بغض النظر عن جنسها، سواء كانت ذكراً أم أنثى، مما يفتح النقاش حول مدى ارتباط الإبداع بالهوية الجندرية.

لكن، يُثار سؤال جوهري: هل الاختلافات البيولوجية والثقافية بين الرجل والمرأة تتعكس فعلياً على إنتاجها الإبداعي؟ وهل يمكن للفرق في التكوين العقلي بين الجنسين أن يترك أثراً في طبيعة الإبداع؟

يأتي جواب الناقد "عبد الله الغدامي" ليعزز النقاش، إذ يقول: "لا يكفي أن تكون المرأة أنثى حتى ينعكس ذلك على لغتها وإبداعها. فهناك العديد من النساء كتبن بأسلوب الرجل وبعقليته ولغته، وكُنّ بمثابة ضيفات أنيقات على صالون اللغة. لقد استرَجَلت بعض النساء في كتاباتهن، مما ساهم في تعزيز قيم الفحولة في اللغة بدلاً من تقديم هوية لغوية أنثوية مميزة. وبهذا، تضاعف غياب المرأة عن الفعل اللغوي الحقيقي"⁵.

هذه الرؤية تُظهر أن الكتابة النسائية ليست مجرد مسألة بيولوجية، بل هي انعكاس لوعي فكري وثقافي يسعى لتحدي القوالب السائدة وتقديم خصوصية تعبر عن الذات الأنثوية بشكل مستقل وأصيل.

يرى الناقد عبد الله الغدامي أن الكتابة عند المرأة تُعدّ أداة لإثبات وجودها وضمودها في وجه القيود المجتمعية، حيث نجحت في تحويل ذاتها من مجرد جسد إلى شخصية فاعلة ومؤثرة. فالكتابة بالنسبة للمرأة تمثل عملية تشكيل لوعي جديد خاص بها، وعي يمزج بين حدود الذات وتخوم الكتابة.

ويؤكد الغدامي أن "كتابة المرأة - اليوم - لم تعد مجرد عمل فردي يقتصر على التأليف أو النوع، بل أصبحت صوتاً جماعياً يعكس هوية ثقافية متكاملة. ففي هذه الكتابة، تظهر المرأة كجنس بشري متكامل، ويبرز

1 - بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية التونسية، ص 123.

2 - مجموعة من الأكاديميين العرب، الفلسفة النسوية ص 342

3 - جون ليتشه، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً، - من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر فاته البستاني مراجعة محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2008، ص 330.

4 - حفاوي بعلي، مدخل للنقد النسوي، ص 107.

5 - عبد الله الغدامي، المرأة و اللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2006، ص 181-182.

النص كجنس لغوي متفرد، حيث تتجلى الأنوثة في الكتابة كفعل إبداعي شامل، سواء في التأليف أو في القراءة والتلقي¹.

بهذا المعنى، تصبح الكتابة النسائية ليست مجرد انعكاس لخصوصية فردية، بل تمثل صوتاً جماعياً يحمل معانٍ جديدة للأنوثة، معيدة صياغة العلاقة بين الكاتب والنص، وبين اللغة والثقافة.

وهكذا، استطاعت المرأة أن تفتح آفاقاً جديدة للكتابة النسوية، حيث ارتقت بالأنثى إلى أعلى مراتبها الإبداعية. وبهذا الإنجاز، حققت المرأة حريتها الفكرية وانطلاقها الواسعة نحو الأمام، لتصبح قادرة على التعبير عن رؤيتها للحياة وتجاربها الخاصة من خلال أدبها، بوصفها كياناً مستقلاً يحمل بصمته الفريدة في عالم الإبداع الأدبي.

3- الأدب النسوي المكتوب بالفرنسية في الرواية الجزائرية:

على الرغم من الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي عانى منها المجتمع الجزائري نتيجة الاحتلال الفرنسي، وما صاحبه من تدهور ثقافي وانتشار واسع للجهل والامية، إلا أن تلك التحديات لم تمنع ظهور النتاج الروائي الذي لعب دوراً محورياً في قضايا الثقافة والفكر. فقد تجلى الأدب كوسيلة إبداعية وطنية، استوعبت النضال التحريري والكفاح المسلح، وأسهمت في تشكيل الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في مواجهة تحديات استعمارية استهدفت طمس هوية الشعب الجزائري وثقافته وحضارته.

وجد الروائيون الجزائريون أنفسهم أمام مسؤولية مواجهة المستعمر، فاتخذوا من اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير عن معاناة المجتمع وقضاياها في تلك الحقبة. وبرزت نخبة من المثقفين الذين استخدموا الفرنسية بوعي نضالي، مستلهمين تجاربهم القاسية مع المستعمر، الذي نكث وعوده بمنح الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية، وأذاق الجزائريين أشكالاً متنوعة من الاضطهاد والقمع².

هذه النخبة شملت كُتّاباً وكاتبات ساهموا في إثراء المشهد الأدبي، من أبرزهم مولود فرعون، محمد ديب، مولود معمري، كاتب ياسين، مالك حداد، وآسيا جبار. وقدمت تلك الأعمال الأدبية شهادة حية على الواقع الجزائري، معبرة عن الكفاح من أجل الحرية والهوية، ووضعت بصمة لا تُمحى في تاريخ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

في عام 1950، ظهرت رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون (1913-1962)³، التي تُعدّ أول عمل روائي مكتوب باللغة الفرنسية في الجزائر. هذا العمل كان انطلاقة قوية للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، إذ تبعه في عام 1952 نشر محمد ديب (1920-2003) روايته الشهيرة "الدار الكبيرة"، التي كانت بداية ثلاثيته الروائية المتميزة. استكمل محمد ديب هذه الثلاثية بروايته "الحريق (L'Incendie)" في عام 1954 و**"مهنة الحياكة (Le Métier à Tisser)"**، حيث وثّقت هذه الأعمال الحياة القاسية للمجتمع الجزائري تحت الاحتلال

1 - المرجع نفسه ص 182.

2 - إدريس بودية، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار منشورات منتوري، قسنطينة ط1، 2000 ص 17.

3 - ينظر - عابدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي (1925-1967) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 376.

الفرنسي، ونقلت معاناة الفرد الجزائري، ولوعته، وحزنه، في ظل واقعٍ مُهين طمست فيه كرامة الشعب ودمّرت مقدساته.

بدوره، أصدر مولود معمري (1989-1917) رواية "الربوة المنسية" (La Colline Oubliée) في عام 1952، ثم أتبعها برواية "نوم العدل" (Le Sommeil du Juste) عام 1955. ومع اندلاع الثورة المسلحة في عام 1954، شهد الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية نقلة نوعية في مضمونه وشكله الفني. وبرزت رواية "نجمة" (Nedjma) للكاتب ياسين، التي صدرت عام 1956، كإحدى أبرز المحطات في تاريخ الأدب الجزائري. هذه الرواية أثارت جدلاً واسعاً بسبب تمرداها على أسلوب الرواية الكلاسيكية ودخولها في مغامرة التجريب، حيث اعتمدت على الرموز، التراث الشعبي، والمناخات الشعرية¹، مما جعلها عملاً فنياً متفرداً يعكس طموحات جديدة للأدب الجزائري.

تميز النص الروائي الجزائري خلال تلك الفترة بواقعيته العميقة الناتجة عن صدق عاطفة الكاتب، الذي كان ينطلق في كتاباته من لحظات الشدائد والمحن بدلاً من أوقات الفراغ والتأمل الخيالي. هذه الخصوصية دفعت الكاتب إلى تحري الدقة والأمانة في رصد الأحداث وتسجيل الوقائع، حيث أدركوا تماماً خلفيات الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تمر بها البلاد. جاء تصويرهم للأحداث صادقاً ومعبراً عن روحهم الوطنية وغيرتهم على سيادة الوطن.

أما مالك حداد (1927-1978)، الشاعر والروائي المميز، فقد اتسمت أعماله بتجليات روح شاعرية واضحة. كان حداد يميل إلى تجاوز تقنيات السرد الروائي التقليدية، مفضلاً توظيف لغة شعرية مكثفة في نصوصه السردية. هذا الأسلوب الفريد ظهر جلياً في رواياته، مثل رواية "الانطباع الأخير" (La Dernière Impression) التي صدرت عام 1958، ورواية "سأهبك غزالة" (Je t'offrirai une gazelle) عام 1959، والتي جاءت بأسلوب أقرب إلى السيرة الذاتية. بالإضافة إلى ذلك، قدّم روايات مثل "التلميذ والدرس" (L'élève et la leçon) عام 1960، ورواية "رصيف الأزهار لم يعد يجيب" (Le Quai aux Fleurs ne Répond pas) عام 1961. جميع هذه النصوص تسلط الضوء على الواقع المأساوي وظروف الحياة القاسية التي عاشها الجزائريون تحت وطأة الاحتلال، مما جعل أعماله تعكس بعمق معاناة المجتمع الجزائري وآماله في التحرر.

عموماً، كان النص الروائي الجزائري حاضراً بقوة، وكان بركان الكلمة يوازي بركان الثورة المسلحة. لم يتردد الكاتب الجزائري في نقل أحداث الثورة وأيام الكفاح المرير ضد الاستعمار، حيث كان للسرد الأدبي دور بارز في توثيق معاناة الشعب وإبراز شجاعة المقاومة.

أما الكاتبة آسيا جبار (1939-2015)، فقد بدأت الكتابة مبكراً وهي لم تتجاوز العشرين من عمرها، معتقدةً أنها تسير في وفاق مع تطور الوسط الثقافي والمجتمع، انطلاقاً من الثقافة العربية التي نشأت فيها. لكن مع مرور السنين، وتحت ضغط مختلف الرهانات الناتجة عن تجربتها الشخصية، اكتشفت آسيا جبار أن الكتابة كانت وسيلة لتحقيق تحدٍ ومقاومة ضد القوى الظلامية والتيارات التقهقرية².

1 - إدريس بوديبة، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار ص21.

2 - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013 ص 86.

أغلب أعمالها تناولت قضايا المرأة، متأثرة بتنوع تجاربها الذاتية، مما أتاح لها طرح عالمها الروائي بعمق وتماسك. في روايتها الموسومة بـ "نساء الجزائر في شققهم (Femmes d'Algérie dans leur appartement)، تناولت الكاتبة واقع المرأة الجزائرية المأزوم، مشيرة إلى أن الخلاص الوحيد يكمن في الكلمة المستمرة، والخروج للتجوال في الأماكن المحظورة على المرأة، وهو تحدٍ صارم للواقع الذي يحبسها داخل المدن الكبرى¹.

أسلوب آسيا جبار يبرز جرأة في الطرح وحساً تاريخياً عميقاً، حيث دمجت بين الشعرية الجمالية والنظرة التاريخية في سردها. فهي من الأصوات النسوية العالمية البارزة، شاعرة وقاصة ومسرحية ومنتجة أفلام، تهتم بتوثيق الواقع من خلال الكتابة كإرادة تُعبر عن الحرية والبحث عن الهوية. تقول الكاتبة: "ذات يوم جميل جلست للعمل مدفوعة برغبة الكتابة، خلقت شخصيات بلا هدف محدد، ثم بدأت هذه الشخصيات تتحرك، وسحبنتي معها.

2

هكذا بدأت آسيا جبار مسيرتها، حيث شكلت أعمالها الأدبية أرضية خصبة للتعبير عن المعاناة والتمرد على القيود التقليدية.

أما الكتابة بلغة الآخر - اللغة الفرنسية - فهي تعود إلى أسباب متعددة، خصوصاً أن ظاهرة الكتابة بلغة المستعمر تُعدّ شائعة في المجتمعات العربية. فقد زخر التاريخ الأدبي الحديث بنماذج عديدة من الكتاب الذين كتبوا بلغة غير لغتهم الأصلية، إما طواعية أو لأن تلك اللغة كانت وسيلة لتمير الصوت الثقافي في ظل الاستعمار. ومن بين هؤلاء، نجد جبران خليل جبران وجورج شحاتة من لبنان، وإدوارد سعيد وجبرا إبراهيم جبرا من فلسطين³، وغيرهم.

أما عن أسباب الكتابة باللغة الفرنسية، فتوضح الكاتبة آسيا جبار أن اللغة الفرنسية بالنسبة لها هي تحدٍ للمستعمر الفرنسي بالدرجة الأولى، ومجابهة له بلغته أحياناً، مع تمسكها بانتمائها الثقافي والوطني. يظهر ذلك جلياً في مختلف أعمالها، حيث إن لجوءها إلى اللغة الفرنسية لم يكن مفروضاً من الخارج كلغة استعمار، بل كان اختياراً حرّاً من أجل تقديم الذات والمخاطرة بالانفصال المؤقت عن الوطن الأم، بما يتضمنه من عواطف ومعاناة معنوية.

فالكتابة بالفرنسية، حسب آسيا جبار، هي وسيلة لنقل الذات للآخر، وتعكس رغبة في التحرر من الحدود اللغوية للأبناء، وتفتح المجال للتواصل مع العالم بأسره. إنها أداة للتعبير الأمين عن الحقائق، لا أداة للخيانة أو الفصل عن الهوية⁴. وبالتالي، تُظهر اللغة الفرنسية في أعمالها قدرتها على نقل الواقع بتفاصيله الدقيقة، مع الحفاظ على القيم الإنسانية والوطنية.

الكتابة بلغات أخرى، وفقاً للكاتبة، لا تعني تبني فكر ومشاعر تلك اللغات بشكل مطلق. كانت الأدبية مقتنعة بأن جميع كتاباتها باللغة الفرنسية إنما تمثل مساهمة حقيقية في إثراء الأدب العربي. تقول في إحدى نصوصها:

1 - jean déjeux, la littérature féminine de langue français aux maghreb, éd karthala, 1994, p151

2 - أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بحث في تطور علاقة الانتاج الروائي بالإيديولوجيا من 1930 إلى 1982، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة دمشق، 1948، ص 114.

3 - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ص 52.

4 - المرجع السابق، ص 87.

"وما أنا أقف في موقف متناقض، أكتب رواية جديدة باللغة الفرنسية وأنا متأكدة أنني أواصل العمل وأقدم أدباً عربياً¹.

من هذا المنطلق، يمكننا القول إن الأدب الحقيقي هو إبداع يتجاوز الحدود الزمانية والمكانية، حيث تصبح هوية الأدب الحقيقية نابعة من انتمائه للقضايا الوطنية والإنسانية، بغض النظر عن اللغة التي يُكتب بها.

4- آسيا جبار وظاهرة الكتابة عندها:

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تطرق إلى فنون أدبية متنوعة مثل الشعر، القصة، المسرح، والرواية، وهو يُكتب بروح عربية تتخذ من الفرنسية لغةً للتعبير. الأدب الجزائري بهذه اللغة استطاع أن يعبر عن الهوية الجزائرية بشكل عميق ومؤثر، حيث اعتُبرت الفرنسية لغةً لحرية التعبير والروح.

تقول الروائية آسيا جبار: «أنا أدرك اختياري النهائي للكتابة باللغة الفرنسية، هو بالنسبة لي ضرورة لا غير - فهذا الحيز في الفرنسية هو لغة كتابتي، دون أن أستبعد باقي اللغات الأم التي أحملها معي دون الكتابة بها²».

بهذه الطريقة، تمكنت آسيا جبار من التطرق إلى مواضيع لم تستطع التعبير عنها بلغة الأم، مما يثير قضية العلاقة بين الذات واللغة الأم مقابل اللغة المكتسبة. وبرزت الفرنسية بشكل خاص في الأدب النسوي الذي يتناول أبعاداً زمانية وتاريخية، حيث حاولت الكاتبات، مثل آسيا جبار، معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية، والاحتجاج على الظلم الاجتماعي والسياسي، ورفض النظام الاستعماري والسلطة الذكورية على حد سواء.

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية شهد نضجاً وتطوراً ملحوظاً، حيث استطاع أن يعكس الواقع الجزائري بشكل عميق وواقعي، رغم الصعوبات التي واجهها في ترجمة هذا الواقع إلى الأدب. مصطفى الأشرف يقول: «هذا الأدب وإن كان نقصاً إلا أنه استطاع ولأول مرة أن يعكس وبحروفه الفرنسية الواقع الجزائري في وقت تعذر على بعض الكتاب أمثال (كامو) الذي كان يفقد الشجاعة لترجمة ذلك الواقع³».

وفي مجال الكتابة الروائية تحديداً، كان الصوت النسوي هو الذي نقل خبايا النفس وانفجاراً لصمت دام طويلاً. بدايةً، نشرت فاطمة الزهراء أمليان، بالاسم المستعار آسيا جبار، أولى إصداراتها الروائية مع "العطش" la soife عام 1957. في هذه الرواية، تتحدث الكاتبة، بضمير المتكلم، عن التنافس العاطفي والرغبة الجامحة في التحرر لدى الشباب الجزائري.

وفي عام 1958، أصدرت آسيا جبار رواية ثانية بعنوان "القلقون. I'impatients" في هذا النص، تناولت مشاكل المرأة وأثارها في سياق الحرب الجزائرية الفرنسية مثل الحب، الحرية، الزواج، الطلاق...، حيث فتحت الكاتبة الباب على مصراعيه لمناقشة مواضيع المرأة وتحليلها.

وفي عام 1962، ظهرت رواية "أبناء العالم الجديد. les enfants du nouveaux monde" في هذه الرواية، تسرد آسيا جبار حكايات نساء جزائريات كافحن بشجاعة في الحرب، وتحدثت الرواية عن النساء اللواتي

¹ - عائدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982 ص 418.

² - Assia djebbar , la réfugiée linguistique , armelle Datin et Isabelle colombat , nuit blanche le magazine du livre n 92 , 2003 , p 22.

³ - jean déjeux , situation de la littérature maghrébine de langue français, p 33

عاشن الأحداث التاريخية بأبعادها المختلفة. تشير الكاتبة إلى أن أحداث الرواية تحمل آرائها وأراء أبناء وطنها، حيث تقول: «كنت أرغب أن ألقى بنظرة إلى أبناء وطني وموقف ليلى البطلة من الداخل يعبر عن موقف¹

تواصل آسيا جبار إصداراتها مع رواية "الحب والفاقتازيا l'amour, la fantasia" عام 1984، وهي سيرة جمعوية تهدف إلى كسر حاجز الخوف الذي كان يعزل تعبيرها والنساء الجزائريات، وتحقيق صوت جماعي بواسطة الراوي، مما يهدف إلى الهروب من الصمت الخائق لوجودهن. الرواية تُعد بمثابة سجل تاريخي يعكس الهوية الأنثوية الجماعية.

أما رواية "لا مكان لي في منزل أبي (Nulle part dans la maison de mon père)" الصادرة عام 2007، فقد ترجمها محمد يحياتن إلى اللغة العربية بعنوان بوابة الذكريات².

في هذه الرواية، تطلق الكاتبة آسيا جبار العنان لذاكرتها الحميمة لتروي سيرة فتاة جزائرية تحكي عن ذكريات طفولتها ومراهقتها، وتبدأ خطوة الكشف الذاتي تحت عنوان: شطايا الطفولة، حيث تطرح سؤالاً: «تري هل الطفولة سر خفي لا يسمع أم غبار الصمت؟³»

ثم تنتقل حالة التمزق الداخلي التي تعيشها في فصل تمزيق المحبوب، حيث تروي شغفها بالكتب وتجارب الحب المنهوك التي بدأت ترسم في الجزء المعنون تلك التي تجري صوب البحر. وتنتهي الرواية بفصل بعنوان خواتم، حيث تسأل: «هل أنا أبحث؟ أين يوجد منزل أبي الصغير المظلم؟» وفي هذه الرواية الأخيرة، تسمي آسيا جبار كتابها بـ «الكتابة الهاربة»⁴، إشارة إلى كتابة الصمت والهروب من ضغوطات الواقع والتجارب الشخصية.

إن الملاحظ على كتابات آسيا جبار أن خصوصية الكتابة النسائية حاضرة في أعمالها، وذلك يعود إلى اختلاف تجربتها الحياتية وتركيباتها النفسية والبيولوجية، أي تركيبة الأنثى النفسية ووضعها الاجتماعي وأفقها الوجودي. فقد تنوعت مصادرها الإلهامية بتنوع تجاربها الذاتية، وبذلك نجحت في طرح عالم ثابت ومتين مؤسس بشكل جلي على العلاقة التي تربط النص بالخطاب.

كما يظهر ميل الكاتبة الشديد إلى السرد التاريخي والاهتمام بقضايا المرأة وحرية هذه الأخيرة. ففي نصها الموسوم بـ "نساء الجزائر في شققهم (Femmes d'Alger dans leur appartement)"، تطرقت الكاتبة إلى الواقع اليومي بمأسية وآلامه وإيقاع أيامه المتماثلة والروتينية المملة، ولهذا لا وجود إلا لسبيل واحد يمكن للنساء الجزائريات من فك القيود والأغلال وتحرير الجميع، وهو الكلام الذي يمكّن المرأة من الخروج والتجول بكل طلاقة متساوية مع الرجل.

أرادت الكاتبة آسيا جبار أن تمارس الكتابة لتعكس الصوت الإبداعي الأنثوي وتواجه الموت والنسيان، وتحقيق أثر وجودها وبمرورها على هذه الأرض الجزائرية، متخذة من اللغة الفرنسية مساحة لتحررها مدفوعة برغبة الكتابة. فالكتابة، وفقاً لها، كائن يلاصق الكاتب والمكتوب ويلازم التجارب الشخصية، حيث تقول: «ذات

1 - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ص 329.

2 - آسيا جبار بوابة الذكريات، تر - محمد يحياتن، سيديا الجزائر، 2014، ص 10.

3 - المصدر نفسه، ص 11.

4 - ينظر المصدر نفسه ص 523.

يوم جميل، جلست إلى العمل، مدفوعة برغبة الكتابة، خلقت شخصيات بدون هدف محدد، ثم بدأت هذه الشخصيات في الحركة ثم سحبنتني معها¹.

دون أن ننسى أن الكاتبة أحببت اللغة العربية وارتبطت ارتباطاً عاطفياً بها، فقد أفصحت عن تعلقها وإعجابها باللهجة العامية المتداولة في المناطق الحدودية الجزائرية والتونسية. ففي رواية "القنابر الساذجة"، تحدثت عن حب وشغف بعض شخصيات الرواية بلغتهم الأم. على سبيل المثال، قرر "عمر"، وهو تلميذ، التحدث بالعربية فقط لأنها لغته الأم، وعدم التحدث بالفرنسية:

في القسم عزمت على التحدث بالعربية فقط، لغة أمي، ومنعت نفسي من الحديث بالفرنسية لغة الآخرين، أتذكر أنني كررت عديد المرات (الآخرين.. الآخرين) وأقمت أهلي في دائرة (الآخرين) علماً بأن والدتي وأخواتي كنّ يجهلن اللغة الأجنبية ولا يتحدثن حرفاً واحداً بها².

في هذه الرواية، تبحث شخصيات النص السردي عن اللغة العربية من خلال حفظ القرآن الكريم ودراساتها في المدارس القرآنية، حيث تتساءل عن الفهم الحقيقي لهذه المعاني بعد الحفظ، وتستعرض الكاتبة بعمق تأثير هذه الهوية اللغوية على الفرد والوعي الثقافي.

ومن الصيغ التي تعكس المتداول الجزائري في كتابات آسيا جبار، نجد مثلاً شعبياً يعبر عن هذه العلاقة:

«Que dieu fleurisse ton visage, qu'il fructifie la maison qu'il colore ton sort de couleurs du bonheur, de pais»³
«un tamis devant l'œil du soleil»

هذا المثل يقصد منه أنه من الصعب إخفاء الحقيقة لمدة طويلة، مما يعكس قدرة اللغة على التعبير عن الهوية والتاريخ. ومن هذا المنطلق، تظهر العلاقة التي تعيشها الكاتبة آسيا جبار مع اللغتين الفرنسية والعربية. فالفرنسية بالنسبة لها هي لغة العدو والانفتاح على العالم الحديث، في حين تمثل العربية الجذور العائلية، واللغتان بالنسبة لها هما أداتان أساسيتان في بناء الهوية الجزائرية وتعزيزها.

ما يميز آسيا جبار في أعمالها هو قدرتها على الانفتاح على الثقافة الغربية واستلهاهم واقع المجتمع الجزائري وتراثه المجيد، خاصة تراث الأسلاف. وترى الكاتبة أنها تمكنت من إنتاج خطاب أدبي بعيد عن كل رقابة، وهو ما ينعكس على نصوصها الأدبية، حيث تبدو في صورة فسيفاء متنوعة من اللغات والأصوات واللهجات المحلية العربية، العامية والأمازيغية، طبقاً لرؤيتها الخاصة المتمثلة في ثراء الهوية الجزائرية وتنوعها⁴.

أما عن مضامين نصوصها، فقد اهتمت الكاتبة بالمرأة التي ترى فيها حقيقتها المغيبة التي قمعتها الوصاية الاجتماعية والذكورية. وقد ساعدها في ذلك سردها باللغة الفرنسية التي منحتها الكثير من الكنوز، ومكنتها من

¹ - أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص 114.

² - Assia Djebar , les Alouettes naïves , ed , Julliard , 1967,pp231-232

³ - المصدر السابق، ص 162.

⁴ - بولفاعة خليفة، الهوية والمرأة في أدب آسيا جبار تفكيك النسق وكسر المحذور، مجلة الأثر، العدد 21، ديسمبر 2014، جامعة محمد الصديق بن يحيى،

جيبل، ص 164.

التحرر الثقافي والاجتماعي. ففي روايتها "الفلقون"، تتحدث الكاتبة عن المرأة وتركز على نفسياتها المحبة التي تمنح قلبها وروحها للرجل الذي تحبه دون تفكير أو تمهل، كما تكشف عن الدسائس في عالم النساء. فدليلة، المحبة لحريتها والراغبة في إكمال دراستها وتقرير مصيرها، والتي ترفض الكذب والتزييف، تقع في حب رجل اسمه "سليم" الذي تقدم لخطبتها من أهلها. أما هو، فيرغب في حب ليلي، منافستها وأرملة والدها، من ناحية وحبيبته السابقة من ناحية أخرى. وبعد عودته من سفر قاده إلى باريس، حيث توجهت دليلة لتلتحق به، اكتشفت هذه البطلة أنها هربت من سجن العائلة لتقع بين يدي سجان جديد هو الحبيب "سليم" الذي يقتل في الأخير مع ليلي من طرف زوجها.

اللافت للانتباه هو تركيز الكاتبة على هذه الدسائس العاطفية التي تكون عادة بين النساء في جو من التراخي الكلاسيكية¹. فموضوع المرأة نجده كذلك ماثلاً في رواية "أبناء العالم الجديد"، حيث تتناول الكاتبة المستوى الاجتماعي الذي تمثله المرأة، وتعكس من خلالها قضايا الهوية والحرية والتحديات التي تواجهها في المجتمع الجزائري.

في رواية "القنابر الساذجة"، التي تعكس حياة آسيا جبار وتجربتها الشخصية، نجد أن العنوان يحمل دلالة عميقة. ففي المشهد الذي يحاصر فيه كل من نفيسة وليلي في الغابة، يصبح أحد الجنود:

"Et ! voilà ! les alouettes"

"ها هي القنابر هنا." وهذه العبارة كانت تُستخدم للإشارة إلى الراقصات المومسات في الجزائر. ومن خلال هذا، تسلط الرواية الضوء على قمع النساء وانسحاقهن تحت وطأة المجتمع العسكري، حيث تُحصر الشخصيات الأنثوية في أدوار تقليدية قاسية.

أما في "طيف السلطانة" (Ombre sultane)، فإن الكاتبة تشير إلى أحداث تدور بين امرأتين، واحدة تقليدية سجيئة المنزل والأخرى حرة تمامًا. تتدرج الأحداث، حيث تتعلم هذه المرأة دروساً من العالم الخارجي، ويتأسس بين الزوجتين حوار وهمي يعكس الأخوة والتفاهم، مع عقد يجمع بينهما بعد استرجاع ذكريات الطفولة المشتركة، وتصبح الأمور أكثر تعقيداً حين تتفان على الزوج المشترك.

احتفت كتابات آسيا جبار بالجسد الأنثوي بشكل عميق، حيث تظهر لغة الجسد بشكل بارز في رواياتها وكتابات الأخرى. فلغة الجسد عند آسيا جبار هي لغة الكتابة ذاتها²، إذ أن التفاعل الجسدي يُترجم في الكتابة إلى "ترنحات وشطحات وجنون الجسد". في روايتها "لا مكان لي في منزل والدي"، تقدم الكاتبة جسداً متحرّكاً يحاول التحرر من القيود الاجتماعية والأعراف والتقاليد. ففي إحدى المقاطع، تقول:

"قررت دون سابق إنذار، ولتذهب الأعراف المناقفة إلى الجحيم أن تنتصب بعتة بهذا الفستان الأسود ذي الأزهار الحمراء والبنفسجية كي ترتجل رقصة قديمة متفاخرة، أنقلها بعض التردد، ثم بعد تسلل الإيقاع المهتر

¹ - Jean déjeux , la littérature féminine de langue français au maghreb , pp 81-82

² - عبد القادر بودومة، تفكيك حجاب اللغة، مقارنة فينومينولوجية لنص آسيا جبار - الأصوات التي تأسرنى - منشورات وهران 2010، 122.

للطبل في نفسي، رغبتُ في الالتفات حول نفسي... سأرقص أمام جميع النساء كما يحصل لي في سريري وأحياناً في أحلامي¹.

بهذه الصورة، تُظهر آسيا جبار كيف يتحول الجسد إلى وسيلة للتعبير الحر، يتحرك ويعبر عن تمرد داخلي ضد التقاليد والقيود.

في أعمال آسيا جبار، تسعى إلى إبراز جمالية الجسد والأنوثة الحقيقية التي تتجاوز الحدود التقليدية، حيث ترى أن الأنوثة تتجلى في التحرر من قيود الأعراف والعادات التي تسجن الجسد وتطمسه. فالأنوثة، من وجهة نظرها، تتعلق بمعرفة معالم الجسد خارج ثقافة الأسرة والمجتمع، بعيداً عن الشهوة الرخيصة، مما يمنحها الحرية وتحرير الذات من قيود الآخر.

وفي هذا السياق، تعكس روايتها "الحب والفانتازيا" الأبعاد المختلفة للجسد ولغة الجسد، حيث تقول:

«Voilez le corps de la fille nubile, rendez la invisible, transformez – la en être plus aveugle que l’aveugle, tuez en elle tout souvenir du dehors»²

"غطوا جسد الفتاة الناضجة، اجعلوها غير مرئية، حولوها إلى كائن أعمى أكثر من الأعمى، واقتلوا داخلها كل ذكرى من الخارج".

وهذا يشير إلى كيف يتم تجاهل الجسد الأنثوي وتحويله إلى شيء لا يمكن التعرف عليه، محاولاً محو هويته، مما يعكس أيضاً من التهميش والطمس الذي يتعرض له الجسد الأنثوي.

وتظهر لغة الجسد بطرق شعرية في أعمال آسيا جبار، ففي نص آخر تقول:
الجسد يمشي قبل الكلمات، يسير إلى حيث الأقدار، يحكي دون صوت، يصرخ بعينه.

« Après une querelle banale d’amoureux que je transforme en défi, que je lance en révolte dans l’espace une secrète déchirure s’étire la première... mes yeux cherchent au lion , une poussé étranger propulse mon corps , je crois tout quitter , je cours , je désire m’envoler »

في هذه النصوص، تظهر المرأة ككيان له حرية الطيران والتمرد ضد القيود المفروضة عليها من المجتمع الذكوري والسلطة الأبوية، حيث تسعى آسيا جبار إلى خلق صوت نسوي يعبر عن الذات بصدق وقوة. ففي مونولوج داخلي، تعبر الشخصية عن رغبتها في التحرر، بالقول:

"بعد رفعي لنظرة المحبين في سماء المعركة، وفي سرية ممزقة لأول مرة عينيا تبحثان بعيداً، هي دفعة غريبة لجسدي - أعتقد أنني سأترك كل شيء إنني أشتي الطيران بعيداً".

¹ - آسيا جبار بوابة الذكريات، ص 250.

² - Assia djebbar , l’amour , la fantasia , p 11

هذا المشهد يعكس الصراع الداخلي للمرأة الباحثة عن التحرر الجسدي والنفسي، رغبة في الانطلاق بعيداً عن القيود الموروثة والمفروضة من قبل المجتمع، حيث المرأة تسعى لتأكيد ذاتها وهويتها بحرية كاملة.

وتُظهر آسيا جبار في كتاباتها أن المرأة هي صاحبة هذا الفضاء وهذه اللغة، حيث تجد في الكتابة ملاذاً يُتيح لها التعبير عن ذاتها بعيداً عن الهيمنة الأبوية والمجتمع الذكوري. فباللغة الأجنبية، تمكنت من تجاوز الحدود التقليدية والتحدث بصوت قوي يعكس موقفها المناهض للأبوية والمستعمر على حد سواء. فالكتابة بالنسبة لها ليست فقط وسيلة للتعبير عن الذات، بل هي أيضاً أداة أكاديمية تفرض نفسها ضمن السياقات الروائية المتنوعة، مستمدة قوتها من الموروث الأدبي العالمي والعربي والجزائري.

وفي ذات السياق، تسلط آسيا جبار الضوء على الهوية النسوية المتجذرة في الثقافة الجزائرية، والتي تعكس التفاعل بين الأصول الأمازيغية والعربية، لتؤسس لرؤية متماسكة تنهل من التراث وتطرح قضايا معاصرة حول دور المرأة في المجتمع الجزائري، مما يجعل كتابتها جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية الجزائرية المتنوعة والغنية.

خاتمة

بناءً على التحليل الشامل لأعمال آسيا جبار، يتضح أنها استطاعت تجسيد صوت المرأة بشكل بارز في كتاباتها، من خلال توظيفها للغة الفرنسية والعربية على حد سواء، لتعبر عن هويتها وتجاربها الشخصية في مواجهة التقاليد المجتمعية والسيطرة الأبوية. فقد استلهمت الكاتبة من ثقافتها الجزائرية العريقة ومن واقع النساء الجزائريات المتعدد والمتنوع، حيث نجحت في تقديم سرد نسوي متنوع يجمع بين الصراع الاجتماعي والنفسي للمرأة، وكذلك إظهار الجسد الأنثوي كوسيلة للتعبير عن التحرر والمقاومة ضد القمع.

ومن جهة أخرى، أبرزت آسيا جبار الدور الأكاديمي والأدبي لكتابتها، حيث جمعت بين الفهم العميق للجنس الروائي والأسس الأكاديمية المتوارثة، مع تمازجها مع الموروث الأدبي العالمي والعربي والجزائري، ما أتاح لها تقديم نصوص ثرية تعكس تطور الهوية الجزائرية وتنوعها الثقافي، وبناء عليه استنتجت مجموعة النتائج الآتية:

1. صوت المرأة وتوظيف اللغتين: نجحت آسيا جبار في تجسيد صوت المرأة من خلال توظيفها للغة الفرنسية والعربية، حيث عبرت عن هويتها وتجاربها في مواجهة التقاليد المجتمعية والسيطرة الأبوية.
2. تجربة سردية متنوعة: قدمت الكاتبة سرداً نسوياً يعكس الصراع الاجتماعي والنفسي للمرأة، مع التركيز على الجسد الأنثوي كوسيلة للتعبير عن التحرر والمقاومة ضد القمع.
3. الدور الأكاديمي والأدبي: عززت أعمال آسيا جبار الجوانب الأكاديمية والجمالية في الكتابة الروائية، حيث جمعت بين تقاليد الجنس الروائي واستلهمت الموروث الأدبي العالمي والعربي والجزائري.
4. الهوية الثقافية والتنوع: أظهرت أعمالها الاهتمام بتفاصيل الحياة اليومية للنساء الجزائريات، حيث تناولت القضايا الاجتماعية مثل الأنوثة، الحرية، والتحديات التي تواجه المرأة في سياقات مختلفة.
5. التحولات الاجتماعية والسياسية: عبرت الكاتبة عن التحولات الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الجزائر، مع إبراز القوة الذاتية للمرأة في مواجهة الهيمنة الذكورية والاستعمار.
6. الرؤية الثاقبة: قدمت آسيا جبار رؤية ثاقبة تتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية، مما يجعل كتاباتها جزءاً من المشهد الأدبي المعاصر الذي يعكس تطلعات المرأة الجزائرية نحو تحقيق ذاتها.

7. الأثر الإنساني: تركت أعمال آسيا جبار أثرًا إنسانيًا عميقًا من خلال تعبيرها عن معاناة المرأة الجزائرية ورغبتها في تحقيق العدالة والمساواة، مما يعكس التحديات التي تواجهها المرأة في سياقات متعددة، مع تعزيز الأمل في الحرية والتحرر.

8. تظهر كتاباتها أيضًا الاهتمام بتفاصيل الحياة اليومية للنساء الجزائريات، وتسليط الضوء على القضايا الاجتماعية مثل الأنوثة، الحب، الحرية، والتحديات التي تواجه المرأة في سياقات مختلفة. وهكذا أصبحت أعمالها شاهدة على التحولات الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الجزائر، مع إبراز القوة الذاتية للمرأة في مجتمع يعاني من الهيمنة الذكورية والاحتلال الاستعماري.

في المجمل، تمكنت آسيا جبار من تقديم رؤية ثاقبة تتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية، مما يجعل كتاباتها جزءًا من المشهد الأدبي المعاصر الذي يعكس تطورات المرأة الجزائرية نحو تحقيق ذاتها في ظل تحديات متزايدة ومتنوعة.

• مصادر البحث ومراجعته:

المصادر:

1- آسيا جبار بوابة الذكريات، تر: محمد يحياتن، سيديا الجزائر، 2014
المصادر بالفرنسية:

- 1- Assia djebar , la réfugiée linguistique , armelle Datin et Isabelle colombat , nuit blanche le magazine du livre n 92 , 2003
2. Assia Djebar , les Alouettes naïves , ed , Julliard , 1967

المراجع:

- 1- إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار منشورات منتوري، قسنطينة ط1، 2000.
- 2- أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2013
- 3- بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية التونسية، المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط 1.
- 4- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات دار الاختلاف الجزائر، ط1، 2009.
- 5- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982
- 6- عبد القادر بودومة، تفكيك حجاب اللغة، مقاربة فينومينولوجية لنص آسيا جبار – الأصوات التي تأسرنى – منشورات وهران 2010.
- 7- عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2006.
- 8- مجموعة من الأكاديميين العرب، الفلسفة النسوية، إشراف وتحرير علي عبودي المحمداوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

المراجع العربية المترجمة:

- 1- جون لينتسه، خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا، - من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر فاتن البستاني مراجعة محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2008.
- 2- سيمون ديوفوار، الجنس الآخر، تر مجموعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتبة الأهلية، القاهرة، ط4، 1966.

الدوريات و المجلات و الرسائل :

أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بحث في تطور علاقة الانتاج الروائي بالإيديولوجيا من 1930 إلى 1982، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة دمشق، 1948.

- 1- بولفاعة خليفة، الهوية و المرأة في أدب آسيا جبار تفكيك النسق وكسر المحذور، مجلة الأثر، العدد 21، ديسمبر 2014، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل.
- 2- سليمة خليل، وهنية مشقوق، الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي مارس 2011، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- 3- مفيد نجم، الكتابة النسوية، إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى، العدد 42، 2009.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. - jean déjeux ,la littérature féminine de langue français aux maghreb, éd karthala,1994
2. -jean déjeux , situation de la littérature maghrébine de langue français.